

معلقة الملك الضليل بين الفهم والتحليل في الدراسات الأكاديمية العربية المعاصرة، نظرية القراءة والتلقي نموذجاً

The Ode of King Al-Zill: Between Understanding and Analysis in Contemporary Arab Academic Studies, Using Reader-Response Theory as a Mode

جدي عادل، بخوش علي - مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، الإيميل المهني للباحث الأول adel.djeddi@univ-biskra.dz

² جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، الإيميل المهني للباحث الثاني a.bekhouche@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/20 تاريخ القبول: 2024/10/14 تاريخ النشر: 2024/12/01

ملخص: نتبعاً من خلال هذا البحث إلى تفصي بعض الدراسات التي تناولت معلقة امرئ القيس من منظور جمالية التلقي، وتكمن أهميته في ممارسة نقد النقد على تلك الأبحاث لإبراز مدى ملائمة المعلقة باعتبارها نص تراثي عربي لآليات تلك النظرية الغربية الحديثة من جهة، ومدى إبراز جمالياتها ودلالاتها من جهة ثانية ومعرفة كيفية فهم وتطبيق آليات النظرية من قبل باحثينا العرب من جهة ثالثة، وقد توصلنا لنتائج هامة أبرزها، فاعلية النظرية الألمانية في إبراز جماليات ومعاني تلك اللوحة الفنية؛ لاعتمادها على السياق الثقافي والانفتاح والتأويل، كما أن المعلقة رغم خصوصيتها قد استجابت لآليات تلك النظرية. **كلمات مفتاحية:** التلقي؛ الفهم والتحليل؛ تفصي أفق القراءة؛ المعلقات؛ حدود الفهم النصي.

Abstract: This research delves into previous studies exploring Mu'allaqat Imru' al-Qays's through the lens of reading and reception theory. It critiques these studies to showcase the alignment of this genre of poetry with Western literary theory, emphasizing its aesthetics and meanings. The focus is on understanding how Arab researchers interpret and apply this theory. Results reveal the German theory's effectiveness in highlighting aesthetics and meanings, leveraging cultural context and openness and interpretation. Despite its specificity, Mu'allaqat Imru' al-Qays's aligns with the mechanisms of the theory.

Keywords: Receptive Skills, Understanding and Analysis, Exploring the horizon of reading El Mu'allaqat, Limits of textual understanding.

المؤلف المرسل: عادل جدي، الإيميل: adel.djeddi@univ-biskra.dz

1. مقدمة:

تنوعت الدراسات الأكاديمية العربية المعاصرة التي تناولت النصوص الشعرية التراثية، معتمدة في ذلك على خط تصاعدي من الممارسات النقدية، ميّز بداياته بعثٌ وإحياءٌ للتلقّيات الكلاسيكية من خلال الشروح المتنوعة لتلك النصوص، أو إبراز جوانبها الجمالية بلاغياً أو ذوقياً (تأثيرياً)، مروراً بالمنهج السياقية كالمناهج النفسي والمنهج التاريخي والمنهج الأسطوري...، ثم تجاوزها إلى مناهج تجعل النصوص الأدبية محور اهتماماتها، مقصيه بذلك بقية أطراف العملية الإبداعية (المؤلف والقارئ) كالنبوية والأسلوبية...، وصولاً إلى نظريات ومناهج ما بعد النبوية، كالنقد الثقافي واستراتيجية التفكيك ونظريات القراءة والتلقّي...، ولعل هذه الأخيرة التي أعلنت من شأن القارئ، قد وجدت في شعرنا الجاهلي عامة ونصوص المعلقات خاصة درراً ثمينة، فشرعت في التنقيب فيه باستخدام آلياتها، متغيّبة إبراز جمالياتها ودلالاتها من ناحية، ومعرفة مدى استجابة تلك اللوحات الفنية لآلياتها من ناحية أخرى.

وهذا ما يكسب موضوعنا أهمية كبرى، فتلك النصوص الخالدة، تمثل جزءاً هاماً من تراثنا الشعري العربي والثقافة العالمية ككل.

وعليه سنحاول ضمن هذه البحث، اعتماداً على المنهج الوصفي التحليلي مع الاستفادة من نظرية التلقّي في حد ذاتها، مناقشة ونقد بعض الدراسات الأكاديمية التي تناولت معلقة الملك الضليل نموذجاً؛ باعتبارها إحدى لوحات العرب الفنية الخالدة، تلك الأبحاث التي حاولت تطبيق آليات نظرية القراءة والتلقّي الألمانية على المعلقة، انطلاقاً من فرضية مفادها فاعلية تلك النظرية في الكشف عن خبايا نص المعلقة؛ لاعتمادها على السياق الثقافي والانفتاح والتأويل؛ وذلك بهدف الكشف عن مدى استجابة ذلك النص رغم خصوصيته للنظرية من ناحية، ومعرفة كيفية إبراز جمالياته ودلالاته من ناحية ثانية، ومدى فهم واستيعاب آليات تلك النظرية من قبل الباحثين والنقاد العرب من ناحية ثالثة.

وقبلولوج لعالم تلك الدراسات، حرّى بنا إضاءة مصطلحي الفهم والتحليل لأهميتهما البالغة في هذا البحث.

2. مصطلحا الفهم والتحليل بين التقاطع والتعارض:

1.2 الفهم: (Understanding)

أ- لغة: ورد في لسان العرب بأن: «الفهم معرفتك الشيء بالقلب، فهمه فهما وفهّما وفهّامة (...) علمه، وفهمت الشيء: عقلته وعرفته، وفهمت فلان وأفهمته، وتفهم الكلام فهمه شيئا بعد شيء، رجل فهم: سريع الفهم (...)» (ابن منظور، ب ت، صفحة 459)

أما جميل صليبا في معجمه الفلسفي فيرى أن الفهم «يطلق على إدراك موضوع التفكير وتحديد، واستخلاص المدلول من الدال عليه، ففهم اللفظ حصول معناه في النفس، فإن لم يحصل معناه في النفس بالقوة أو بالفعل كان كالألفاظ اللغات الأجنبية تسمعها ولا تدرك معانيها. وجملة القول أن الفهم هو تصور المعنى من لفظ المخاطب (...) أو هو حسن تصور المعنى (...) وأعلى درجات الفهم أن تعلم أن ما تصرح بفهمه لا يمكن أن يكون إلا كما فهمته (...)» (صليبا، 1972، صفحة 171)

ب- اصطلاحاً: لعل أبلغ تعريف للفهم هو ذلك التعريف المقتضب الوارد في كتاب هانز جورج غادامير "الحقيقة والمنهج"، «إن الفهم بالأحرى هو تأويل دائماً ومن هنا فإن التأويل هو الفهم بشكله الصريح» (هانز جورج غادامير، 2007، صفحة 418) وبهذا المعنى الفهم هو تصور ذهني يفضي للتأويل.

2.2 التحليل: (Analysis)

أ- لغة: في المعجم الأدبي التحليل هو: «تجزئة العمل الأدبي وفصل عناصره عن بعضها لدراستها واختبار طبيعتها، وأهميتها وعلاقاتها ببعضها» (نواف نصار، 2007، صفحة 48)

أما في معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: «التحليل هو تفكيك الكل إلى عناصره، أو إن شئنا هو رد المعقد إلى البسيط (...)» (جلال الدين سعيد، 1991، صفحة 98)

ب- اصطلاحاً: ترى الباحثة نعيمة سعدية أن التحليل يشير إلى «عملية تفكيك الخطاب المحبوك المتناسك (شكلاً ودلالة)، المكتوب والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة، داخلية وخارجية، من أجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب) التي ساهمت في تشكيله،

بمعرفة: مضامينه - محتوياته - غاياته - معايير - فضائه - بنياته - جنسه... إلخ ليتحقق التحليل، الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد (...)» (نعيمه سعدية، 2016، صفحة 5) وعموماً يمكن أن ننظر إلى الفهم على أنه الملكة التي يمكن من خلالها استيعاب الدلالات المختزنة في النصوص، ويتعدى الفهم المفردات والعبارات والرموز والإشارات إلى ما هو أبعد من ذلك، كفهم الجو النفسي للأديب والسياق النصي، بينما التحليل يمكن أن يفهم على أنه قدرتنا على تفكيك بنية النصوص، الصوتية والصرفية والتركيبية والمعجمية (...)، وتنوع طرائق التحليل لنص إبداعي واحد لتنوع المناهج النقدية المستخدمة فيه من جهة، واختلاف وتفاوت مستويات وآليات الفهم لدى الناقد وتكوينه الفكري والثقافي والاجتماعي، أو حتى لدى طبقة كاملة من النقاد.

3. الإجراء التطبيقي:

1.3 الدراسة الأكاديمية الأولى - دراسة دليلة مروي الموسومة بـ (استراتيجية القارئ في شعر المعلقات، معلقة امرؤ القيس نموذجاً): قبلولوج إلى عالم هذه الدراسة، حريّ بنا أن نشير إلى أنها عبارة عن رسالة مكتملة نالت بها الباحثة شهادة الماجستير، وهي دراسة مستفيضة؛ إذ بلغ عدد صفحاتها مائة وواحد وسبعين، خصصت منها أربعة وسبعين صفحة للجانب النظري، وإذا استثنينا ما له علاقة بالمقدمة والخاتمة والمراجع والملاحق والفهرس، يتبقى للإجراء التطبيقي ما عدده ثمانية وستين من الصفحات، وهذا حجم معتبر؛ إذ يقارب عدد صفحاته نصف الدراسة، خاصة وأن الباحثة تعرضت فيه لتحليل معلقة واحدة. ولعل تقديمنا لهذه الدراسة على التي تليها ليس اعتباطياً البتة، بل له ما يبرره؛ فقراءتنا الأولية لكل منهما أظهر لنا أحقية وسبق إحداها على الأخرى، وليس للمعيار الزمني أية أهمية في مثل هذين الدراستين لاعتماد كل منهما على آليات النظرية نفسها.

- حدود الفهم النصي (Textual omprension boundaries)

- العنوان: لا يمكن لمن يمارس نقد النقد إغفال وتجاوز عناوين الدراسات التي هو بصدد معابنتها؛ لإبراز سلبياتها وإيجابياتها ومواطن قوتها أو ضعفها؛ فالعنوان «أشبه ما يكون ببطاقة هوية، وفي كثير من الأحيان يكون كاللوحات الإشهارية الخاطفة، وبخاصة حينما يكون براقاً مغرباً» (أفطي و دندوقة،

صفحة 153)، والمتأمل في عنوان هذه الدراسة يجد أنه يجمع بين نص شعري قديم تمثل في (المعلقة)، ونظرية نقدية معاصرة، وهي (نظرية القراءة والتلقي)، وهو ما يشير بوضوح إلى خوض تجربة قرائية تتسع فيها المدة الزمنية بين النص والنظرية، وإذا نحن حللنا الجزء الأول من العنوان (استراتيجية القارئ) نجد أن مصطلح (استراتيجية) في سياق نظرية القراءة والتلقي يشير إلى الأساليب والتقنيات المستخدمة من قبل المتلقي لتأويل النصوص، أما مصطلح (القارئ) المستخدم هنا، فيتعارض ويتناقض مع دعوة الباحثة التي تسوق قول بشرى موسى صالح، لتؤكد بأن مصطلح المتلقي أعم وأشمل من غيره من المصطلحات الأخرى؛ حيث إن «مصطلح المتلقي أشد دلالة على الحال السماعية للشعر من مصطلحات أخرى، كمصطلح القارئ والسماع بوصفه مصطلحا شاملا تنضوي تحته أنماط التلقي الشفاهية أو السماعية، فضلا عن القرائية» (صالح ب.، 2001، صفحة 59) وفيما يخص عنوان الدراسة في جزئه الثاني، فقد ضبط حيّزها مقتصره على معلقة امرئ القيس، ولعل هذا الاختيار نابع من أن المعلقة تعتبر إحدى أبرز اللوحات الفنية المحملة بالزخم الثقافي واللغوي الجاهلي، وهو ما يفسر تصنيف ابن سلام الجمحي صاحبها ضمن شعراء الطبقة الأولى، ولا يخفى ما لحسن اختيار الباحثة لهذه المعلقة من جاذبية ووقع على المتلقي؛ فقد أظهر الشاعر فيها ملكة لغوية منقطعة النظير، وصور من خلالها عواطفه وانفعالاته وخبراته الحياتية. وقد اتضح أن الباحثة قد نصبت نفسها قارئاً للمعلقة، مطبقة تقنيات معينة لفهمها وتحليلها، غير أنها في أحيان عديدة كانت تستثني نفسها من تجربة القراءة، وتكتفي بنقل تجارب قرائية لمتلقين آخرين!! فمن المقصود بالقارئ في العنوان بالضبط؟ لعل المسوغ هو تطبيقها ما يعرف بتاريخ التلقيات الأدبية لدى يداوس (Hans Robert Jauss)؛ ويمكن القول عموماً إن عنوان الدراسة يظهر أن لكل متلقي استراتيجيات خاص به، يمكنه من خلالها إبراز جماليات النصوص وفهم مراميها الثقافية والمعنوية، وهو يميل حسب رؤيتنا لنظريات لقد استجابة القارئ أكثر منه لنظرية القراءة والتلقي الألمانية.

– الجزء التطبيقي الأول: معلقة امرؤ القيس بين التلقي وأفق الانتظار الاجتماعي:

استهلت الباحثة هذا الجزء ببيان دور الشعر كوسيلة لنقل القيم الثقافية والاجتماعية العربية إبان عصر ما قبل الإسلام، ومكانة الشاعر كسفير يدافع عن القبيلة آنذاك، كما أنها تعرضت لقضية تأثير المتلقي القديم

على اختيار القصائد وتسجيلها، وهذا ما يؤكد الأبعاد الاجتماعية والمجتمعية لعملية التلقي العربي القديم، ودورها في تأسيس المعايير الفنية للقصائد وتشكيل معايير الجمال والاستحسان، وهذه الفكرة الأخيرة لم يُفطن لها إلا بعد بروز نظريات القراءة والتلقي الحديثة. وتهدف الباحثة مستعرضة النظرة الشفاهية والإيقاعية لشعر ما قبل الإسلام بتقديم أمثلة وأدلة قوية على كيفية تأثير المتلقي على هندسة تلك القصائد (مروك، 2009-2010، الصفحات 81-89)

وقد تم عرض مثال وحيد كدليل على تأثير الشعر على الأسماء والهويات، وهو (قصة بني أنف الناقة) وفي خضم الحديث عن اختيار أجود القصائد ثم الإشارة إلى أن معلقة امرئ القيس كتبت بماء الذهب وتم تعليقها على جدران الكعبة، على غرار بقية المعلقات، فالباحثة تتفق بذلك مع رأي قدامة بن جعفر، ولم تبد دليلا ولا تعليلا واضحا لهذا القول وكأن القضية متفق عليها ومسلم بها.

إنَّ شعر امرئ القيس أثار انتباه المعاصرين والقدماء، وهذا ما يعكس قيمة شعره الفنية والثقافية، لكن تفاعل الأقدمين كان أكثر حيوية في تلقيه، في حين اكتفى المحدثون بإعادة اكتشافه، وهذا الاختلاف يعكس التأثير الثقافي والتاريخي عبر العصور، «ويمكن القول عموما إن موقف القدماء أقرب إلى نظرية استجابة القارئ التي تمتد جذورها إلى النص (...)» أما موقف المحدثين فأقرب إلى نظرية التلقي، التي تتبلور من خلال التفاعل بين شعر امرئ القيس وقارئيه عبر مسافة تاريخية ممتدة (...)» (نفسه، الصفحات 91-91) وتواصل الباحثة تقديم مسح بيبليوغرافي شامل للتأليف النقدية التي تعرضت لشعر امرئ القيس، شمل حضور امرئ القيس في مؤلفات القدماء والمحدثين والشرح، وحضوره في المستوى الأكاديمي (الجامعي) وقد أشارت بذلك إلى الأثر الكبير الذي أحدثه شعره ومساهمته في تطوير نظريات الشعر وتكوين الشعراء، بيد أنها لم تخصص ما له علاقة بالمعلقة، فوقعت بذلك في التعميم، ووسّعت مجال الدراسة المقيد بمعلقة الشاعر كأنموذج فحسب، ولعل فائدة هذه الرؤية تكمن في توضيح التأثير التعاقبي لشعر أبي القروح عبر الأزمنة وإظهار الأبعاد الفنية والجمالية لشعره.

ولو بحثنا عن أهم القضايا المعروضة هنا لوجدنا أنها تتعلق بتفاعل القدماء مع أبيات امرئ القيس الجريئة والفاحشة، والقيام بتأويلها لتبرير الفن أحيانا وللتبرؤ منها أحيانا أخرى، وبصيغة أدق كان شعر امرئ

القيس في بعض جوانبه محط إعجاب القدماء، ومحل انتقادات في جوانبه الأخرى، وهذا ما أبدى تنوعا في الاستقبال والتلقي (نفسه، الصفحات 92 - 107)

لكننا نتساءل هنا: هل أثرت آراء قدماء النقاد على فهم القراء المحدثين خاصة في ظل اختلاف السياق والقيم الثقافية؟ وفي ظل اهتمام الباحثة ببعض الأبيات من المعلقة دون غيرها، وعرضها كنماذج توضيحية لإبراز قدرة الشاعر على ابتكار الأفكار الجديدة والصور الملهمة، نلمس تحيزا في التحليل، لذا كان الأجدر بها النظر إلى المعلقة في سياقها الكامل، كما أن التنوع في التفاعل مع الأبيات الجريئة من المعلقة أظهر تطور الفهم الثقافي والأدبي عبر العصور من ناحية، لكنه أخل بالتوازن المفترض أن يكون في الإشادة بالفن والتأكيد على القيم الأخلاقية من ناحية ثانية.

لم يخل شعر امرئ القيس من لمحات الابتكار والتجديد رغم ارتباطه بالتقاليد الفنية، فقد استفز المتلقين بأبيات مفاجئة، حظيت برعايتهم الخاصة؛ حيث قاموا بفهمها مجازيا ولغويا وتأويليا، كل ذلك جعل امرئ القيس يتفرد ويظهر في ساحة شعر ما قبل الإسلام، وقد كانت هناك أبيات واضحة إلى جانب الأبيات غير المتوقعة، ولقد عكف القدماء على معالجة مشكلة المبالغة والغلو في شعر امرئ القيس من خلال الاستحسان أو الاستهجان، كما أن التعبير بالصور في شعره مثل طريقة لتحفيز تفكير المتلقين وجعل التجربة الشعرية ثرية (نفسه، الصفحات 96 - 101)

وهذا التصنيف من قبل القدماء يبيد فهمهم اللغوي والثقافي العميق لأبيات الشاعر وتعقيداتها، وتوازنها في نقل تجربته بين الإبداع والوضوح؛ فقد تميزوا بالتأني والحذر والدقة في التأويل والنقل والتحليل، وكل ذلك يبرز تركيزهم على المعنى في شعر امرئ القيس ومكانته، ويبين كيفية تعامل القدامى أيضا مع الأبيات الواضحة من نقل المعنى من لغة الشاعر إلى لغة الشارح.

ومن تحليلات الدراسة كذلك تداخل التجربة الجمالية مع الحياة الاجتماعية والتاريخ، وهو ما يؤكد نظرة القدامى للشعر كوسيلة لفهم الثقافة والتأثير في المجتمع، فلم يتم تناوله كمصدر تاريخي بقدر ما استمتعوا بجمالياته وفنيته، وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى التأمل في الشعر بدل ربطه المباشر بالواقع، لأن ذلك يساهم في إرضاء المتلقين (نفسه، الصفحات 101 - 102)

إن هذا الطرح جسد بوضوح المستوى العالي من الفهم والتحليل والتقييم لدى الباحثة، فقد أظهرت كيفية تأصيل التجربة الجمالية في السياق الاجتماعي والتاريخي، وكشفت بذلك عن الروابط المتجذرة بين الشعر والتاريخ، كما أشارت إلى التأثيرات الفردية للمعلقة على كل قارئ بصورة خاصة، وهو ما أكدنا عليه خلال نقدنا لعنوان هذه الدراسة.

قدمت دليلاً مبرهناً كذلك تحليلاً شاملاً لعدة أبحاث، وتتبع تطور الأساليب النقدية من القدماء إلى المحدثين، وأشارت إلى أهمية السياق الاجتماعي والتاريخي في استيعاب شعر امرئ القيس، وقد عكس هذا جهداً بالغاً جمعاً وفهماً وتحليلاً لما له علاقة بالمعلقة وشعر امرئ القيس ككل، ولكنه جسد التعميم في عدة مواضع مرة أخرى، يضاف إلى ذلك التكرار وعدم ترتيب بعض الأفكار والعناصر.

قارنت الدراسة بين معلقة الملك الضليل وبقية أصحاب المعلقات، لتؤكد فكرة تميز وفردة الشاعر الناتجة عن تجلي معالم الشعرية في معلقته، فقد كان أول من قدم أفكاراً وأساليباً اتبعها الشعراء من بعده، وهو سبب الاهتمام المستمر بمعلقة الشاعر من قبل النقاد والباحثين، وحتى مكانته وتقديره من طرف شعراء عصره كذلك، وهو من ناحية أخرى لم يقلد في كثير من الأحيان حتى سابقيه من الشعراء (نفسه، الصفحات 107-113)

إن هذا التميز لدى الشاعر يحقق نوعاً من الاندماج بين الذات والموضوع، أي يظهر تفوقاً في تعبير الشاعر عن مواضيعه، فقد ترك أثراً بالغاً لدى المتلقي، وشكل وجهة نظره حيال المشهد الشعري عامة. وفي سياق بحث التلقي والسياقات الثقافية، تركزت الباحثة على الفهم الثقافي للنصوص الأدبية؛ حيث تعتبر المعلقة مرآة للأحداث والتحويلات في المجتمع، وتطرح هنا التساؤل الآتي: هل لانتماء القارئ الثقافي تأثير في فهم النصوص؟ وتجب عن ذلك بالإيجاب فيما بعد، وقد تعرضت أيضاً لمغامرات الشاعر العاطفية ومدى تجاوزها للتقاليد والقيم الثقافية. (نفسه، الصفحات 113-115)

تعكس هذه الرؤية التحول من التركيز على العناصر الأدبية إلى التركيز على العناصر الثقافية، إذ إنه تم تجسيد الصراع النفسي بين الرغبات الفردية للشاعر والمحظورات الثقافية، وانتصار هذه الأخيرة في غالب الأحيان و بالتالي التمرد على التقاليد، وإذا كانت النصوص لا تفصل عن السياق الثقافي الذي نشأت

فيه، فهل ستواجه المتلقي تحديات في فهم النص الأدبي عند قراءته في سياقات ثقافية مختلفة أو أفق متنامية؟ وهل يمكن أن يكون هناك تفاعلات معينة تظهر عندما يكون القارئ جزءا من الثقافة التي نشأ فيها؟ هل تصوير العلاقات الجنسية تعبير عن قيم وتقاليد عصر الشاعر؟ أم أن هناك توترا بين الطبيعة والثقافة في النص؟ كيف يتم التعبير عن هذا التوتر؟ وما الذي يرمز إليه في الجمل؟

لم تجب الدراسة في جزئها الأول بوضوح عن مثل هذه التساؤلات الهامة، باستثناء ذكرها انتصار امرئ القيس على للطبيعة في بداية حياته، لكنه سرعان ما انتكس بعد ذلك وانغمس في المحذور، وهو ما يظهر تطورا في شخصيته، فهل ستميط الباحثة اللثام عن مزيد من الاستراتيجيات النصية و تبرز مدى تأثيرها على فهم المعلقة في الجزء الثاني من الدراسة؟

– الجزء التطبيقي الثاني: معلقة امرئ القيس بين التلقي وأفق الانتظار الأدبي.

تنقب الدراسة في بداية هذا الجزء عن اللامتوقع في ظاهرة الوقوف على الأطلال؛ فقد شكلت مقدمة الشاعر اضطرابا نفسيا؛ لأنه مزج فيها بين جمال الطبيعة وجلالها والقفور والبؤس المتعلق بالأطلال، ولعل استخدام الشاعر لمقدمته الطليّة كقناع فني يعكس جهوده في إقناع المتلقي بتجربة شاعرية معينة، على أن عوامل مثل الزمان والمكان، إضافة للخلفيات الذهنية والمادية المكتسبة شكلت أغلالا أما خيال الشاعر الجاهلي فجاء محدودا، كما لا يخفى ما لحسن الاستهلال من أهمية؛ حيث يقرب النص الشعري من المتلقي فيؤثر فيه عاطفيا وفنيا، كما أنه يشكل وسيلة مشوقة تحفزه وتدفعه لمواصلة التلقي. (نفسه، الصفحات 118-122)، وقد تبنت الباحثة فكرة مفادها: إن مقدمة امرئ القيس تمثل كسرا لأفق التوقع لدى المتلقي في ذلك الوقت، فكان الأجدر بها الموازنة بين هذا الرأي وآراء النقاد والباحثين، واعتبرت دليلا مبروك أنمدارك الشعر الجاهلي محدودة بحكم الزمان والمكان فضلا عن طبيعة المرجعيات الفكرية والحضارية التي اكتسبها، فهل هي بذلك تتبنى الموقف القائل بخصوصية تلك الحقبة؟ وإن كان ذلك كذلك، فلم لم تقدم أدلة تؤيد هذه الرؤية التي أسالت أقلام كثير من النقاد والباحثين بين مؤيد ومعارض؟ وهل أثرت تلك القيود في قراءات المعاصرين وتفاعلهم مع معلقة أبي القروح إذا؟ أليس في هذه المعلقة موضوع الفهم والتحليل ما يدعم ما ذهب إليه الباحثة باعتبارها قارئا استراتيجيا لأبياتها؟!

إضافة إلى أن حسن الابتداء وعنصر التشويق من أهم المفاتيح التي يمكن من خلالها لفت انتباه المتلقي، وهذا الكلام ينطبق على معلقة امرئ القيس والشعر الجاهلي عموماً، كما ينطبق على الشعر الحديث والمعاصر، ولا يشترط فيه أن يرتبط بسياق أدبي أو ثقافي معين.

حاولت الدراسة كذلك استقصاء جدلية الأنا والآخر في المعلقة، والتي تظهر بوضوح في (أنا) الشاعر المتعالية، أما فعل الأمر (قفا) فهو تعبير عن الصراع بين الماضي والحاضر، وتحديدًا في لحظة زمنية معينة، مما يضيف على اللحظة أهمية خاصة، ويظهر فصله للحبيبة عن المكان كتحويل إيجابي؛ فارتباطه بها أقوى من ارتباطه بالأرض، وانفصاله وتساميه عن مشروع المجتمع ومواقفه السلبية تجاه قضاياه، وهذا الوعي الشعري لدى الشاعر ساهم في تأسيس ذاته جمالياً، أما التأزم بين الذات والآخر فيظهر في انتماء الشاعر للآخر وتماهيه معه، وانتمائه لذاته وتوحده معها، والمعلقة أيضاً في نظر الباحثة تجسد فكرة التعالي النصي من خلال تكرار وحدتي الطلل والناقة. (نفسه، الصفحات 122 - 129)

إن هذه الرؤى الفلسفية العميقة التي قدمتها الدراسة، جعلت من المعلقة مرآة تعكس تجارب الإنسان وتحدياته في الحياة، ولكن الغموض واللبس يحيط بها؛ فقد اعتبرت الباحثة فصل المحبوبة عن المكان لدى الشاعر أمراً إيجابياً، ولم تظهر متى يتجسد كل من الفصل السلبي والإيجابي؟ وكيف يمكن للمتلقي التمييز بينهما؟ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لم تبد هل التأزم القائم بين الذات والآخر ظاهرة تواصلية إنسانية أم أنها تمثل تحدياً فريداً من نوعه؟

وفيما يخص التشكيلات الجمالية ومستويات تلقيها في معلقة امرئ القيس، فقد قام الشاعر بتشكيل زمان جمالي معقد يتألف من نقائص زمنية مثل الزمان الخارجي والزمان الداخلي، ينبثق الزمان الجمالي من هذه الوحدة، وهو يمثل حركية الوعي في تمثله للذات والوجود، ثم إن هناك تأزماً بين الطلل والذات الشعرية؛ حيث يهدد الحضور الأول الحضور الثاني بالفناء، كما أن وقوف الصبح جاء ليساهم في مواجهة تلك الحركة المدمرة، وهذا يساهم في تشكيل المعنى، ويمكن إذا لهذا التشكيل الجمالي في معلقة امرئ القيس أن يكون نموذجاً لتيار شعري له خصائصه الفنية ورؤيته الذاتية، ويتميز بانفتاحه على المستقبل. (نفسه، الصفحات 131 - 132)

تعرض دليلة مروت تحليلًا مهمًا لتفاصيل تشكيل الوعي الشعري للزمان الجمالي في المعلقة، والتحويلات التي مر بها الشاعر في بناء رؤيته للذات والزمان، وقد أشارت في خضم ذلك إلى التناوب بين الحضور والغياب بين الطلل والذات، وهذا التشكيل قد يبرز رؤية متناغمة زمان جمالي وجدل أسلوبي يحدث التوتر في تكوين المعنى، ولكننا نرى أنه في الوقت نفسه يبرز التوترات العاطفية والفكرية والانقسام الداخلي في وعي الشاعر، وإذا كان تحول الزمان الجمالي قد يصب في رؤيته المستقبل والذي تراه الباحثة تفاعلاً، فنحن نرى أنه قد يكون قلقاً كذلك حيال مستقبله وذاته، أما بالنسبة لاقتراح فكرة التشكيل الجمالي للوعي الشعري كتيار شعري قائم بذاته، فنحن نتفق مع الباحثة في هذه الرؤيا، فيمكن اعتبار التشكيل الجمالي فعل في مفتوح على إمكاناته وعلمه، يهدف إلى إبراز الجماليات الشعرية وإيصال رسالة فنية تجمع بين الأناقة والإلهام.

تواصل الدراسة استقراء الرموز والمفاهيم المتداخلة في المعلقة، مستقصيه مسألة الخمر والمرأة، فامرئ القيس روج لفكرة مفادها أن الخمرة تمثل لحظات من اللذة والتحرر، وقد ربطها بالحياة والحيوية، كما أنه اعتبر المرأة رمزا و جزءا من التاريخ القبلي، في حين يعتبر الموت جزءا من الحياة واللذة معا، كما بينت الدراسة روابط الشاعر بالتاريخ والشخصيات التاريخية، وكيفية تداخل الأبعاد الأخلاقية مع ملذات الشاعر. (نفسه، الصفحات 132 - 133)

ويظهر هنا سعي الباحثة الحثيث للتأكيد على فكرة اعتبار الشاعر كل من الخمرة والمرأة رموزا للحرية والحياة، ولم تبد كيف يمكن للمتلقي فهم هذه الرؤية في سياق الفلسفة الشعرية للشاعر ؟ وقد اعتبرت الموت جزءا من الحياة واللذة؛ فهي ترى اللذة في مواجهة الموت تقنية للتصدي لمأساة الحياة، فكيف تمكنت من تجسيد هذا التوازن في المعلقة أيضا ؟ أما حديثها عن علاقة الشعر بالتاريخ يمكن تفسير ذلك بعدها امرأ القيس مشارك فعال في بناء التاريخ والهوية القبيلة للعرب، ويمكن أن نفهم من ربطها للأبعاد الأخلاقية بملذات الشاعر، أن تلك الملذات ما هي إلا تجسيد لقيم معينة في ظل الظروف الاجتماعية والثقافية في تلك الحقبة، وما يؤكد ذلك المكانة المميزة التي تحظى بها المرأة في ذلك الوقت.

لقد كان للشاعر الأثر الكبير في تشكيل المعنى بطرق مفاجئة وغير مباشرة؛ من خلال استخدامه للغة الشعرية، كالتشبيهات والرموز الفريدة للتعبير عن أفكاره، وتواصل الدراسة الكشف عن جماليات المعلقة من خلال تحول الحصان من وجود حقيقي واقعي إلى وجود ذهني لدى الشاعر، مما يظهر تفرد الشاعر في إحداث تحولات فنية في وصف الأشياء، وفي مقارنته بين حركة الظبي وحركة النعامة واستخدامه للبل والنجوم، تأكيداً للتفاعل بين المخلوقات المختلفة وإعطاء لمسة شاعرية إلى تجربته، ويظهر كيف تغلب امرؤ القيس على العتمة وحول الطلل إلى رمز للزوال والفقدان، وفي الوقت نفسه يعطيه قيمة جمالية وشعرية، تبدي قدرته على تفسير الجوانب العاطفية والفلسفية للأشياء. (نفسه، الصفحات 134 - 139)، وقد تم التركيز على تجاوز الشاعر في المعلقة توقعات المتلقي مقدماً رؤى جديدة ومبتكرة في صوره ومعانيه؛ فقد أبدى قدرة فنية فائقة على تحويل الأشياء العادية إلى تجارب شعرية غنية وثرية، ويظهر التفاعل الكبير بين العناصر الطبيعية والرموز وكل ذلك يقوي التواصل والتفاعل بينه وبين المتلقي.

وفيما تعلق بدلالة الألوان في المعلقة، أشارت دليلة مارك إلى أن دراسة الدلالة اللونية تسقط الألوان في الواقع الاجتماعي والتاريخي على التشكيل الشعري، وتقترب قلب هذه الرؤية، أي النظر إلى الشعر لفهم دلالة الألوان؛ لأن الشاعر يمكن أن يبرز دلالة اللون بشكل أفضل وأعمق وأجمل، وقد أبرزت الباحثة أيضاً تصور الشاعر لجمال المرأة واللون الأبيض مع التركيز على صفاء البياض، وتأثير الصفرة على وضوح وشفافية اللون، فالبياض يرتبط بأجواء الصفاء والإشراق، ويبدو أن تكثيف اللون يرافقه تكثيف للصفاء والإشراق، والصفرة لا تشوب نقاء البياض بل تبينه، وهي مرتبطة بالشمس والعذوبة والرقّة والجمال، مما يظهر تعدد الدلالات الممكنة للون، ومن ناحية أخرى ترتبط الصفرة لدى الشاعر بالقدسية والتبتل، ما يعكس تعدد الروابط التي يمكن أن تكون للون. (نفسه، الصفحات 139 - 140)

في هذا السياق يظهر مقترح دليلة مارك، قلب العلاقة بين اللون والدلالة الشعرية، ففي المتعارف أن للألوان دلالات معينة تحدد من خلالها دلالات الشعر، غير أنها ترى أن دلالات الألوان يحددها الشعر نفسه، مطبقة هذه الرؤية على المعلقة موضوع التحليل، ونحن لا ننحاز لا لرأي الباحثة ولا لرأي غيرها المناقض لوجهة نظرها، ففي نظرنا على الأقل تكون العلاقة بين الألوان والنصوص تبادلية ومتداخلة؛ حيث

يمكن لكل منهما أن يؤثر على الآخر؛ فالألوان قد تلهم شاعرا معيناً وتؤثر على طريقة تعبيره، لذا قد يثير لون معين عواطف الشاعر فيعبر عنها بكلمات وصور ترتبط بذلك اللون، وعلى النقيض من ذلك يمكن للبعض تفسير دلالة اللون من التجارب والمشاعر التي يمثّلها الشعراء، ويعبرون عنها في قصائدهم وبالتالي يمكن رؤية الألوان مجرد تعبير أو تجسيد للمشاعر التي تتمثلها الكلمات الشعرية والصور.

وإذا عدنا لمسألة المهيمنات الأسلوبية في معلقة امرئ القيس ودلالاتها الفنية الجمالية، نجد الباحثة ترى حب الجمال عاطفة أساسية لدى الشاعر الذي يجسده بشكل يتجاوز الواقع، ويصبح أقرب إلى الوصف التخيلي؛ حيث يروج للمرأة كمصدر لهذا الجمال، ويظهر في صورة اللاهي العاثر المغامر والمتمرد على القيود، وتظهر صورة الليل والذئب كمرآة لحالة الوجدان لديه، وفي ذلك إشارة للتفرد والتمرد، وهما يشتركان كذلك في حالة الخسران والانحيار النهائي، كما تظهر صورة السيل والحصان، تعبيرا عن تبدد الأحلام والطموحات وحالة الفشل والانكسار، وفي استخدام الشاعر لأسلوب الوثبة الشعرية المرتبط بترتيب القصيدة وتدفق الأفكار انعكاس لرحلته العاطفية. (نفسه، الصفحات 142 - 148)

تم التطرق في هذه الجزئية من الدراسة لجوانب هامة مثل الصراع بين الماضي والحاضر، وكيفية تمثيل الطلل في تجربة امرئ القيس، غير أنه لم يتم التطرق إلى كيفية تحقيق الشاعر للتوازن بين الوعي الجماعي والوعي الذاتي للشاعر، وكيف انعكس ذلك في فنه الشعري.

2.3 الدراسة الأكاديمية الثانية- دراسة محمود خليف الحياثي المعنونة بـ (استجابة المتلقي في معلقة امرئ القيس):

هذه الدراسة عبارة عن مقال علمي منشور بمجلة محكمة، خصص له الباحث من الصفحات أربعة وعشرين، ولم يتعد الجزء النظري منها صفحتين ونصف، وإذا علمنا أن ما له علاقة بالمقدمة والملخص والخاتمة والملاحق لم يتجاوز عدد صفحاته خمسة ونصف، يتبقى للجانب العملي سبعة عشر صفحة، وهو حجم مقبول، خاصة وأن الباحث قد تجاوز اجترار كثير من المفاهيم التي لها علاقة بنظرية القراءة والتلقي.

- تقصي أفق القراءة: (Exploring the horizon of reading)

- العنوان:

يتفق عنوان هذه الدراسة مع سابقتها، في تناوله تحليل نص شعري جاهلي عربي من منظور نظرية نقدية غربية معاصرة، ويشكل ذلك تحدياً حقيقياً أمام الباحثين؛ لخصوصية النص المدروس وحدائه المنهج، ويبدو أن مصطلح (استجابة المتلقي) يشير إلى «رد الفعل عند حدوث الحافز (...)» (جبور، 1984، صفحة 16) الذي يحدث لمتلقي معلقة امرئ القيس، ولعل الباحث قد وفق في توظيف مصطلح (المتلقي) بدلا عن مصطلح (القارئ) خلافاً للدراسة السابقة؛ لعلمه بشموليته واتساع معناه أكثر من غيره، غير أن هناك غموضاً في نوعية ردود الأفعال بالنسبة للمتلقين، هل تشمل المشاعر والأحاسيس؟ أم هي تقييم للمعلقة من خلال فهم وتحليل المعاني والصور والأساليب؟ أم كلاهما؟ ويظهر هنا أن الباحث تناول من خلال هذا العنوان كيفية استجابة القراء لمعلقة امرئ القيس عبر الزمن، وكيفية ارتباط تلك الاستجابة بالسياق الثقافي والتاريخي للمعلقة. وعموماً رغم أن هذا العنوان على غرار عنوان الدراسة الأولى يميل إلى جهود نقد استجابة القارئ، فهو يحتاج إلى كثير من التوضيح والدقة؛ حتى يساهم في إعطاء جدوى وجودة أكثر للدراسة، ولو أردنا اقتراح عنوان أنسب وأكثر احترافية وجاذبية للقراء لكان العنوان التالي: (تحليل استجابة المتلقي في الشعر الجاهلي، تأملات نقدية في التفاعل مع معلقة امرئ القيس).

- الجزء التطبيقي المعنون بـ: تفاعل المتلقي في معلقة امرئ القيس.

استهل الباحث دراسته مؤكداً أنها ستسير وفق اتجاهين، يعتمد الأول على التلقي التاريخي؛ حيث يمكن فهم معلقة امرئ القيس من خلال الظروف التاريخية المحيطة بها، والتلقي المستمر لها عبر العصور؛ وهذا الاتجاه يندرج ضمن ما يعرف باندماج الآفاق لدى ياكوبس، ويستند إلى مفهوم الواقع التاريخي وكيفية تشكل المعنى بناءً على هذا السياق، أما الاتجاه الثاني فيستند فهم المعلقة فيه على نظرية فعل القراءة لأيزر (Wolfgang Iser)، وفيه تركيز على تحليل السجل والاستراتيجيات النصية؛ وذلك من خلال تحليل استخدامات اللغة والصور الشعرية والأساليب الأدبية المستخدمة في القصيدة؛ لفهم معانيها المتعددة وتأثيراتها على المتلقي" (خليف الحياتي، 2020، صفحة 5)

وقد تجلّى تاريخ التلقيات عند (ياوس) مساويا للتلقي التاريخي للمعلقة في نظر الحياني؛ فهو لم يفرق بين ما يعرف بالتلقي التعاقبي للنصوص، وتلقي تلك النصوص من منظور المنهج التاريخي السياقي الحديث وما يؤكد هذا الحكم ربط الباحث لشروح معلقة امرئ القيس بالتلقي التاريخي بدل اعتباره جزءا من تاريخ التلقيات الأدبية للمعلقة، ويقع الباحث في التناقض والتلفيق عندما يقول: «(...) لأن نظرية التلقي ومناهج ما بعد الحداثة تؤمن بقدرة المتلقي في إنتاج المعنى بعيدا عن المؤلف أو النص وبنائه، وبذلك فإننا ننظر إلى متن القصيدة على أساس ما يمكن أن يتفاعل معه المتلقي بعيدا عن أي شيء آخر» (نفسه) فهل استثنى الباحث نفسه من الوقوع في مهواة من الغلط، وتناسى ما صرح به في مقدمة الدراسة النظرية بكونها منفتحة على مفاهيم لنظريات أخرى؟!

واصل الحياني تحليله للمعلقة معتمدا على دراسة السجل والاستراتيجيات النصية التي نادي بها (ياوس) مشيرا إلى أن بروز الأماكن في المعلقة يشكل أبعادا رمزية، تتجسد فيها الأفكار والمفاهيم والعواطف، والتجارب الذاتية والاجتماعية والسياسية؛ ويضيف إن الشاعر قد عبر عن قوته وشرفه من ناحية، وعن خسارته وأحزانه من ناحية أخرى بالبكاء، كما أن تأثير الغدر والخيانة كان جليا على الشاعر؛ حيث جعله يبحث عن معنى جديد لحياته، ويعمق الشاعر تجربته جاعلا منها تجربة أكثر إيجاء وتأثيرا عندما يمزجها بمفاهيم لها علاقة بالأسطورة والتاريخ. (نفسه، الصفحات 5 - 9)

إن توظيف الأماكن كرموز للتعبير عن المعاني والأفكار العميقة الخارجة عن المؤلف، جعل من معلقة امرئ القيس غنية من الناحيتين الثقافية واللغوية، بالإضافة إلى إبراز جوانب تاريخية واجتماعية مهمة منها كحرمة المرأة وعلاقتها بالسلطة والمنزل، كما أن أبيات المعلقة كانت تعبيرا عن المشاعر الداخلية فقد أظهرت أن الأحداث السلبية تؤثر في النفس الإنسانية، فتبرز للعيان آلامها وأمالها مغلفة في ثوب شعري رقيق، ويصبح النص الشعري أكثر عمقا عندما يرتدي قناع التاريخ والأساطير؛ فكل ذلك يسهم في جذب القراء وبالتالي تعدد التأويلات.

ويدلف الباحث معتبرا أن أبيات المعلقة مرآة لصفات امرئ القيس، كونه فارسا شجاعا، قويا وكراما، ثم استعرض علاقة الشاعر بابنة عمه عنيزة، مبرزاً توترا قائما بين الحقيقة والخيال في تلك العلاقة، كما أشارت

الآبيات إلى مفارقة عجيبة، تتعلق بتصوير الشاعر كذلك لعلاقاته العاطفية الجنسية مع النساء، فيستخدم رمزية معينة معبرا عن قوته وفحولته وحبه وعشقه لامرأة مريض، ويبرز كذلك رد فعل فاطمة ومحاولتها التخلص من علاقته بالشاعر، الذي حاول بدوره الترفع عن تلك العلاقة مظهرا أخلاقه العالية ورجولته، وإظهار استعدادا للفراق، ويتجلى هنا بوضوح اللاتساوي واللاتعادل في العلاقة؛ فرغم سخاء الشاعر مع معشوقاته وكرمه معهن، إلا أنه ينبذهن ويتمنين الابتعاد عنه. (نفسه، الصفحات 110 - 113) ولقد سعى الحيائي لإبراز كيف أن أبيات المعلقة أعطت صورة إيجابية لشخصية امر القيس، وأظهرت مكانته كفارس شهير، كما أن المعلقة جعلتنا نتساءل عن مدى تأثير العلاقات الجنسية في العلاقات الإنسانية وتعقيدها، مما يؤدي إلى إثارة أسئلة عديدة حول معاني الصور والرموز في المعلقة، وبالتالي تعدد تفسيراتها وتأويلاتها من قبل القراء، خاصة إذا تم ربطها بالفترة التي قيلت فيها.

اعتبر الباحث أن امرأ القيس بطل مغامر؛ فهو لا يخشى الحراس من أجل الوصول إلى معشوقة أخرى تختلف عن سابقتها وقد لقبها (ببيضة خضر)؛ فهي تمثل رمزا للرق والبياض والحماية الشديدة والجاه والنسب العالي، ويظهر كيف أن المعلقة تبدي مفارقة مرة أخرى وتناقضا صارخا تتمثل في امرأة تعشق الشاعر وترغب فيه، ومعشوقات أخريات يرغبن في قطع وصاله، مما يؤكد مرة ثانية تباين المشاعر واختلافها بين البشر. (نفسه، الصفحات 113 - 122)

إن إصرار وعزيمة الشاعر وقدرته على تجاوز العقبات لتحقيق غاياته ومراميه، جعل منه شخصية متفردة لها وزنها وقيمتها، كما أن المشاعر المتضادة والمتنافرة من قبل نسوة يرغبن فيه التخلي عن الشاعر وأخريات يسعين لوصاله أضاف معان جديدة للنص؛ فهو يجسد لنا صور ومشاهد حية لشخصية امرئ القيس وعلاقاته الجنسية، تلك العلاقات تساهم في إيصال الشعور بالتوتر والمغامرة.

- ضعف اللغة الواصفة (Descriptive Language): «إن التأمل في لغة النقد الأدبي وتحليلها، كما التأمل في لغة الإبداع، لا يمكن عده بأي حال ترفا فكريا ولا ترجية للفرغ، بل هو في الحقيقة يعبر عن أرق معرفي يساور كثيرا من الباحثين؛ لأن وضوح هذه اللغة ودقتها وعلميتها يسهل على القراء غير المنتجين فهم النصوص الإبداعية واستيعابها، كما أنه يفتح أمام القراء المنتجين آفاقا جديدة لإعادة قراءة

النص الإبداعي التأويلي» (زغلامي، 2016-2017، صفحة 38) وإذا نحن سحبنا هذا القول وطبقناه على النص النقدي الذي بين أيدينا أمكننا ذلك من الوقوف على تجاوزات وانتهاكات خطيرة قام بها الباحث الذي يبدو أنه يعاني ضعفا قاعديا في الكفاءتين اللغوية (Linguistic proficiency) والتواصلية (Communicative competence)؛ فقد أحصينا خلال هذه الدراسة زهاء تسعة وتسعين خطأ متنوعا، ستة وسبعون منه يندرج ضمن الأخطاء الإملائية، وخمسة عشر خطأ نحويا، وثلاثة أخطاء صرفية، وأربعة تدرج ضمن التراكمات الفاسدة، وخطأ واحد نجزم أنه مطبعي، ولما أردنا التماس عذر للباحث وذلك من خلال بحثنا عن طبعة أخرى لهذه الدراسة؛ عساها تكون منقحة يتدارك فيها صاحبها زلاته وعثراته، إذ بنا نتفاجأ بمقال آخر للباحث منشور في مجلة الكلم، تحت عنوان: «الفجوة-التواصلية-اللغوية-في-مواقع-التواصل-الاجتماعي-بين-الانتهاك-النحوي-واللهجة-المحلية» (الحياي، و عبد الكريم حسين) يدعي فيه الوقوف على الأخطاء اللغوية و الانتهاكات النحوية الشائعة في مواقع التواصل الاجتماعي، وعند اطلاعنا عليه تراءت لنا أخطاء الباحث من جديد التي تظهر للمبتدئين فما بالك بأهل الاختصاص، وهذا ما يؤكد لنا مقولة: فاقد الشيء لا يعطيه!! ولا يخفى علينا أن «لغة النقد في جوهرها هي التجسيد الفعلي والحي لفكر الناقد وقدراته وتوجهاته» (نفسه، صفحة 37)؛ فالحفاظ على سلامة هذه اللغة يؤدي إلى قوة العرض وضوح الأفكار ودقتها، كما يساهم في استيعاب المتلقين ويجعلهم يتفاعلون مع محتوى الدراسة من ناحية، ويقوي ثقتهم فيها من ناحية ثانية، ويجنبهم الالتباس وسوء الفهم من ناحية ثالثة.

-الضبابية وغياب الدقة العلمية: وتظهر في تبني الحياي قضية تعليق نصوص المعلقات على أستار الكعبة دون تبرير موقفه، وكأن الأمر مسلم به ولا إشكال فيه سائر على درب الدراسة الأكاديمية الأولى، ويتجلى ذلك في قوله: «(...) فالمتلقي الجاهلي وبعده الإسلامي إلى العصر الحاضر تذوق وتأثر واستجاب لهذه القصيدة حتى إنه علقها على أستار الكعبة (...)» (خليف الحياي، 2020)، وما يؤكد هذا الحكم أيضا عدم فصله وإبداء رأيه في قضية عدد المعلقات فنراه يقول: «...إنما كان هناك معلقات أخرى مثل معلقة زهير، وعنزة... الخ من أصحاب المعلقات السبع أو العشر (...)» (نفسه)

- قراءة لا انتقائية، تسير وفق وتيرة غير ثابتة: خصص الباحث دراسته لتحليل وتأويل جل أبيات المعلقة، فلم يقيم باختيار أبيات معينة دون غيرها ليؤيد من خلالها تأويلاته، كما أن هذه الدراسة تسير وفق وتيرة غير ثابتة، تضم إثبات النص الإبداعي في شكل وحدات مجزأة ومتفاوتة، إذ نجده يحلل ويؤول بيتا واحدا، ثم خمسة، ويعود ليحلل ثلاثة أبيات، فبيتين، فثمانية ثم ستة عشر دفعة واحدة، ثم ثمانية فثمانية عشر، فسبعة أبيات، وهذا التقسيم لا يعدو إلا أن يكون عشوائيا؛ فهو لم يعتمد في تقسيمه لأبيات المعلقة بناء على الأفكار الواردة فيها.

4. الدراسة المقارنة (Comparative study): عند الموازنة بين الدراستين، وجدنا أن الثانية لم ينل صاحبها إلا شرف المحاولة؛ لكثرة التناقضات ورداءة لغة البحث (...)، فمن المعلوم أن الدراسات الأكاديمية العربية، التي طبقت نظريات القراءة والتلقي على نصوص المعلقات عموما محدودة، وهذا ما جعل لمثل هذه الدراسة جواز سفر للنشر، وفي مجلة محكمة، وسوء التحليل مرده سوء الفهم، ولكننا وكثير من الباحثين «معرضون لسوء الفهم، أكثر من كوننا نفهم بكيفية صحيحة، ومناسبة خصوصا إذا تقدم النص في الزمن، وصار أكثر غموضا والتباسا بالنسبة إلينا» (شرقي، 2007، صفحة 25)، أما الدراسة الأولى فقد أجمت فيها الباحثة بعيدا مضمّن إياها أبعادا فلسفية عميقة، يصعب على القارئ العادي استيعابها بسهولة، خاصة في جزئها التطبيقي الثاني، ولا نشك في أن هناك تضافيف بين الأدب والفلسفة، فكل منهما يقدم خدمات للآخر، لكن طغيان الفلسفة على الأدب والنقد يُصعّب من مهمة المتلقي الناقد، فما بالك بالمتلقي العادي الذي سيشعر بالتيه عند تتبعه للفكرة الأساسية لهذه الدراسة. كما أننا لاحظنا بعض الضبابية، فاللغة النقدية المستخدمة في التحليل معقدة تفتقد إلى البساطة، والدراسة في بعض جوانبها تفتقر إلى التنظيم الهيكلي، حيث يظهر بعض الاضطراب في ترتيب الأفكار والفقرات، ولم يخف علينا الجهد البالغ الذي بذلته الباحثة في هذه الدراسة المعمقة التي تتسم بالجدية والدقة العلمية، وهي في نظرنا إضافة حقيقية لمكتباتنا الجامعية.

ومعلقة امرئ القيس عموما هي نص يماثل لوحة الموناليزا، يفهمه كل متلق كيفما شاء وبخلفيته وثقافته وزاوية نظره الخاصة، يستخرج جمالياته الفنية ويؤول معانيه. وقد فلسف هذا المعنى عبد المالك مرتاض، فقيد

اللغة والأدب مؤخرًا، قائلاً عن النص عموماً: «هذا الكلام المتجدد، هذا النسيج اللفظي العجائبي، هذا الحيز المطرسُ بالحروف الصامتة وهو ناطق، وهذا المائل أمامنا وهو غائب، وهذا الغائب عنا وهو مائل، نمضي نحن، ويبقى هو، ونفنى نحو، ويخلد هو...! هو فوق من يكتبه، يسمو عليه ويتعالى، يختال من حوله ويتهادى، وعبثا يحاول محاول التحكم في كتابته أو قراءته أو تأويله على النحو المطلق. بل إن قراءته تظل نسبياً، ومفتوحة، بل وأولية، مجرد ذلك إلى نهاية الزمن...» (مرتاض، 2010، صفحة 3)

5. خاتمة:

وفي ختام هذا البحث يمكن تلخيص ما توصلنا إليه من نتائج مدعمة بتوصيات، عساها تكون نبراساً لنا أو لغيرنا من الدارسين في لاحق الأبحاث.

- يمكن القول إن نظرية القراءة والتلقي تمثل خلاصة المناهج النقدية الغربية المعاصرة؛ تلك النظرية جمعت بين السياق والنسق في التحليل والتأويل، وتمكنت بذلك من صبر أغوار معلقة امرئ القيس رغم خصوصيتها كنص عربي جاهلي، وتربة المنهج الغربي وحدائته.

- نظرية القراءة والتلقي لا تبحث عن المعنى الذي يؤوله المتلقي عن طريق الفهم والتحليل فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى جوانب أخرى، مثل الجمالية والتأثير الشخصي على استيعاب النصوص.

- إن فهم معلقة امرئ القيس وتحليلها باستخدام نظرية القراءة والتلقي، يعتبر تحدياً مثيراً للذهن ومهمة استثنائية؛ فقد فتحت للقراء والباحثين تجاوز السطح والوصول إلى أعماق المعلقة وكشف أبعادها المصونة.

- إن الفهم العميق والتحليل الدقيق لمثل هذه النصوص، بشكل أو بآخر يساهم في الحفاظ على التراث الأدبي العربي وتوصيله للأجيال القادمة، وكذلك يساهم في الثراء الثقافي والفكري للمجتمع.

- اتضح لنا أن الدراسات الأكاديمية العربية التي تناولت معلقة امرئ القيس، من منظور نظرية القراءة والتلقي قليلة جداً، ومن هنا نوصي الباحثين وطلبة الدراسات العليا بتطبيق نظريات التلقي على نصوص المعلقة، لإثراء مكتبتنا الجامعية.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. ابن منظور، أبو الفضل مُجَّد بن مكرم، (ب ت)، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
2. نصَّار، نواف، (2007)، المعجم الأدبي، دار ورد، الأردن.
3. سعدية، نعيمة، (2016)، التحليل السيميائي والخطاب، عالم الكتب الحديث، الأردن.
4. سعيد، جلال الدين، (2004)، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس.
5. شرفي، عبد الكريم، (2007)، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم، الجزائر.
6. صالح، بشري موسى، (2001)، نظرية القراءة أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
7. صليبا، جميل، (1982)، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
8. عبد النور، جبور، (1984)، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت.
9. غادامير، هانز جورج، (2007)، الحقيقة والمنهج، دار أويا، طرابلس.
10. مرتاض، عبد المالك، (2010)، نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر.

الأطاريح:

1. فريد، زغلامي، (2016-2017)، الخطاب النقدي عند محمود بخيت الربيعي - مقارنة من منظور نقد - النقد - قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الشيخ العربي التبسي، تبسة.
2. مروي، دليمة، (2009-2010)، استراتيجية القارئ في شعر المعلقات - معلقة امرئ القيس نموذجاً - قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، قسنطينة.

المقالات:

1. دندوقة فوزية ونوال أقطي، (2021)، العنوان في النص الأدبي بين الأهمية والوظيفة والمكانة، مجلة أمارات في اللغة والأدب والنقد، المجلد الخامس، (العدد 2)، ص 135.
2. الحياي، مُجَّد خضير خليف، (2020)، استجابة المتلقي في معلقة امرئ القيس، مجلة اللغة الوظيفية، المجلد السابع، (العدد 2)، ص 5 - 22.
3. الحياي، مُجَّد خضير خليف وحسين عبد الكريم، (2020)، الفجوة التواصلية في مواقع التواصل الاجتماعي بين الانتهاك النحوي واللهجة المحلية، مجلة الكلم، المجلد الخامس، (العدد 2)، ص 14 - 24.